في إعلامنا!

لو أدركنا فائدة الإعلام الحقيقية، لهززنا ضمائر معظم الشعوب والأمم، ولربحنا قضيتنا الوطنية الحيوية، من غير أن تراق نقطة واحدة من الدم اللبناني الزكيّ. ولكننا كثيرا ما أهملنا هذا الشأن الخطير، فكان نصيبنا الإخفاق والخذلان.

الإعلاميون في بلاد الناس يتحلّون بسعة العلم، وسلامة الذوق، وبُعد النظر، قلّما تشعر في البداية ما يبتغونه أو لا يبتغونه.

في النهاية يلمّون بعقلية الجماهير على غير مبالغة، وكذلك اتجاهاتهم الفنية، فتراهم يعدّون كتاباتهم في عناية، ينبثقون من ثقافة صحيحة حيّة، ويرتكزون على معطيات دقيقة محكمة، تلائم ذوق الناس، وتوافق مبادئهم، وتجعلهم يصغون الى ما يبثّ أمامهم، من أقوال وأغانٍ وألحان، بكثير من الشغف والارتياح.

أما عندنا، فكثيرا ما تختلف الحال اختلافا كبيرا بيننا، يدعو الى الأسف، ويثير في النفس الغرابة أو هو يطوّعها. ذلك اننا قلّما نماشي في إعلامنا الفن الرفيع، وقلّما نراعي الذوق السليم، ولا نتقيّد بقاعدة التخصص، ولكن نترك أمورنا فوضى، تتولاّها أيدٍ لم تتعوّد النظام الدقيق، وتسيّرها أفكار لم تتقوّ بأنوار العلوم، ولم تستفد من تجارب الحياة. وحين نحاول أن نصنع شيئا، أو نبدع جديدا، تأتي محاولتنا مرتجلة، لانها بنت الطفرة والعجلة، وشتّان بين ما تنتجه في ضوء العلم والفن والبلاغة والمنطق الهادئ الرزين، وما تسلقه في كهوف الارتجال.

يملأ إعلامنا الاسماع في معظم أوقات الليل والنهار، بأغنيات سخيفة المعنى، مستوردة أو سيئة الترجمة، يكثر فيها التكرار الممل والترديد السقيم، تحت ستار من المشاهد الباهرة على غير طائل. وفي كل اسبوع تسمعنا مغنية جديدة، وتطلع علينا بملحن ناشئ، ولو كان للفن يد تتحرك، لصفعت الأولى ولطمت الثاني، لأنهما يسيئان الى قدسية الفن، ويمزّقان آذان الناس، بما يشبه الصفير والشهيق.

ليتجنّب إعلامنا ما فيه من رطانة ونغولة وارتهان وسطحية وركاكة في التعبير لكي يتجلّى فعلا لا السلطة الرابعة وحسب بل السلطة المتقدّمة على سواها، وفصل المقال في غير مجال وعلى غير صعيد.

د. جهاد نعمان
أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه